رواية

٣٥ شلن

ثمن ٣٥٠ جنيهاً

تأليف

حافظ اسماعيل

بالجمعية الزراعية الملكية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى

موقع الاطيان

تركب قطار السكة الحديد المصرية من القاهرة فتظل راكبا ساعة ونصف ثم تصل الى محطة شهيرة لم يكن بينها وبين احد فروع النيل الا مسافة قليلة ومن ثم تتجه على جدول صغير متصل بذلك الفرع مدة من الزمن لا تزيد عن الساعتين

هناك تلقي قرية صغيرة لا يكاد يقع نظرك عليها حتى تندهش من منظرها الخلاب سماء صافية ، وجو صحو ، وأشجار زاهية وبدور زاهرة ، وطيور مغردة ، وقلوب هادئة . كل يعمل على شاكلته لا يعرفون شيئا عن التمدين الحديث الملقى بأهله فى فى هوة الدمار والخراب

يرون العمل كله فى القيام باعباء حقولهم من حرث وزرع وارضاء ربهم بتأدية الفرائض فى اوقاتها . وتقضية اوقات راحتهم بالقرب من حقولهم يتمتعون بمناظر الطبيعة . يتسامرون ويستغنون بالمسرح الطبيعى عن ذلك المسرح الجامع لدروس اللهو والهزل وفاسد الاخلاق

ذلك الجدول الصغير يفصل هذه القرية عن قطعة ارض

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE

مربعة الشكل تبلغ مساحتها خمسة وعشرون فدانا من اخصب ارض الوجه البحري

ويحد هذه القطعة من ثلاث جهاتها جداول مزروع على شاطئها شجر الجزورين على مسافات منتظمة تسير تحته كأنك سائر في رومنة

بين ذلك الجدول وبين هذه القطعة منزل لا بأس به فوطبقة واحدة امامه حديقة صغيرة جمعت من اشجار الفاكهة وعيدان الرياحين مايطمئن له البال وتهدأ لرؤيته النفوس

لا تجلس في أوقات خلواتك في هذه الجنة الصغيرة حتى تسمع حفيف الاشجار وتغريد الطيور . وترى بساط أرضها السندسي مظللا باغصانها الملتفة وفروعها المتناسقة حتى تعتقد أن هذه جنة الخلد نقشت في عرش الارض ليتقي العاصي ربه ويحمده المطيع على ما أولاه من تلك النعمة في تلك الدار الاولى

بجانب هذا المنزل ثلاثة منازل صغيرة تضم بين جدرانها بعض العملة الموكلين بخدمة تلك الارض — وبجوار تلك المنازل مخزنان كبيران لحفظ الوضع المحصول فيهما

ويصل القرى إلى تلك المزرعة بواسطة قنطرة صغيرة على

ذلك الجدول تجاه المنزل

* * *

لمن هذه القطعة

تملك هذه المزرعة رجل اجنبي عن القرية يسمى بدر الدين تدرج الى أعلا المناصب في أحد المصارف في وقت قصير وكان يهوى أن يعيش حرًا فاستغنى عن توظفه بذلك المصرف جاذخره من مرتبه وساعده على ذلك ماناله من مكافأة على تأدية عمله على الوجه الاكمل حيث يهوى الشرف ويعمل على الضنانة بما أوتيه من قوة وعزيمة

لم يكن لبدر الدين أهل في بلده الا والدته وقد ماتت قبل تركه الوظيفة بسنة وكان قد تزوج من قبل بامرأة طاهرة القلب فقيرة الحال من القرية التي بجوار المزرعة

سافر هو وزوجته إلى قرية والدها الذي أخلى لهما جناحا من منزله . وقد ضم بدر الدين الى ماحصل عليه من مرتبه ومكافأته ثمن منزل له باعه في بلده مسقط رأسه وترقب الفرص حتى أن أحد أهالي هذه القرية الجديدة عزم على بيع ثمانية أفدنة فاشتراها واشترى ما يلزم لزراعتها من حيوان وآلات

خلع بدر الدين ثوب الوظيفة ولبس ثياب المعيشة القروية السادجة عليه سيما الوقار والحشمة تقرأ فى تجاعيد وجهه الهمة والنشاط والتأب على العمل والمثابرة عليه وذلك شأن الرجل الحر الذى يرى الانتصار على الفقر أمرا ميسوراً مادام مفكراً قادراً وسبيل العيش الشريف من أسهل الطرق لديه وأحبها عنده وقد ساعده عقله الكبير الذى اداربه أهم اعمال ذلك المصرف مدة من الزمن كافية لمثله ان يكون داهية فى عداد العاملين ' حتى لم يمض عليه سنوات قليلة الا ويكون فى يديه من المال مايترقب به شراء ماجاور الثمانية فدادين فكلما حان بيع جزء من الاطيان المجاورة له اشتراه حتى كملت قطعته خمسة وعشرون فدانا وافية الآلات والعدد والعملة

لم يكن بدر الدين منهمكا فى عمله الدنيوى فقط بل كان على جانب عظيم من الصلاح وسلامة الضمير وحب الله والعمل فيما يرضيه لايتعاطى ولا الدخان ولا يعرف الا المزرعة والمنزل والمسجد وقد حباه الله فوهبه امرأة صالحة عضها الفقر بنابه قبل التزوج به فصارت حريصة على ماله ساهرة على تنميته عاملة على زيادته مشفقة على مجهودات زوجها موافقة له فى العمليين الدنيوى

والأخرى

هنالك رأي السعادة ترفرف عليه ووجد نفسه في جو هادئ، يرفل في حلل الهناءة في تلك البقعة الفسيحة لمثله التي تتجلى فيها معاني الحرية التي كان يعلل النفس بها من قبل وقد تمثلت له مثال الحقيقة

كذلك صاحب النفس العالية والارادة القوية لا يقف أمام شيء من كوارث الدهر حتى يهزمه وينتصر عليه بارادته القوية وعزيمته الماضية . كما انه لا يقتني الا ما يوافقه في حركاته وسكناته ويعمل معه على تلك الحياة التي يرجوها

كذلك يجعل الله هذه السعادة الذين لا يريدون علوا في الارض ولا فساداً

* * *

ابت السعادة الا ان تتدرج بالرجل وتمشي معه أدوار حياته كأن الهناءة والسرور وقف عليه وذللتا بين يديه

تراه لم يرزق اولادا في أول حياته البسيطة حتى شغف هو وزوجته بولد يخلد اثرهما ويرتل ذكرهما في العصور التالية إذ كبرا ولم يكن بينهما في رأي العين وبين قبريهما الا خطوات قليلة

صار طلب الولد امنيتها الجديدة التي لا يصدقان برؤيتها ولو في احلامها اذ لا دخل لقوة الارادة ولا لكثرة المال في ذلك

شعرت فاطمة بجنين يلعب بين جنبيها فطارت فرحا كما زاد فرح الرجل واخذ يفتش بين الاسماء عن اسم صالح لذلك المولود وكثيرا ما جثى الرجلان وجثت بجواره زوجته طالبين من الله الذي يهب من يشاء ذكورا ويهب من يشاء اناثا ان يكون ذلك الجنين ذكرا كما يصير الاملاك ويفهم معنى الحياة ويقدر المستقبل ويكون عنوان الشرف لابيه وصحيفة الاعمال الصالحة له

ماتت ايام الحمل الا وكان المولود ذكرا فصار الفرح فرحين وشكرا الله على ما رزقهما من جليل الاثر وحميد الخلف

تعهدا بتربية الولد حتى نما وترعرع عوده بعناية الوالد الابوي وظلين الشفقة الوالدية وعليل الرأفة البعيدة النظير

ما كاد ابراهيم يبلغ السابعة من عمره حتى خيل للرائي انه شاب في ريعان شبابه ثم اندرج في مدرسة ابتدائية ولكنه تكاسل لم يصل الى نيل شهادة الدراسة الابتدائية الا بعد سبع سنوات

لم يجد والده بدا من حمله الى المزرعة وتوطيده على العمل لمصلحتها وكأنه كان يطلب له تلك المعيشة الهادئة التي كان يعيشها

هو من قبل

استمر ذلك المنزل هادئا توفرت عليه الوية الصفاء اذ تمرن ابراهيم على القيام بأعمال والده الا انه كان يداخله شيء من الفرود زيادة على ضعف عقله وخمول جسمه الضخم

مضى على ابراهيم فى هذا التمرين أربع سنوات بعدها عزم والده على زيارة بيت الله الحرام وتأدية مناسك الحج . وجهز اللازم للسفر واصطحب زوجته فى تلك الرحلة المرضية

هنالك فى تلك الارض الطاهرة ماتت فاطمة فأتى بدر الدين حزينا مع الوافدين من الحج وسكت يتخبط فى حزن عميق حيث لا يجد مسليا ولا يسر بولده الذى ما كان يطيع كثيرا من اوامره الصادرة من رجل عامل جمع من التجارب اعلاها ومن الآراء أثمنها واغلاها

وقد اراد الله لهذا الرجل ان لا يستمر عذابه الجديد اكثر من شهر وقليلة حتى توفاه الله وانتقل الى الدار الابدية مع زوجته وترك ابراهيم وقطعة الارض والمنزل والحديقة

وهكذا جسم الانسان تحلل من التراب ثم اليه يعود

بينما أنا جالس فى مقر عملى اذ دخل على رجل ومعه غلام يبلغ الحادية عشرة من عمره تظهر على ضئيلته سيماء الذكاء الا أنه تعلوه شحوبة اللون كأنه يحمل بين جنبيه أسى أو يفكر فى أمر لا يمكن الوصول اليه أو الحصول عليه الا بلأى شديد . فقرأنى الرجل السلام فرددت عليه ثم نظرت بعد أن أجلستها بجانبى فوجدت تجاعيد وجهه تنم عن سوء طالعه وأفول نجمه قبل أن يصل الى قمة شبابه اذ لا تزيد سنه عن السادسه والثلاثين ربيعا ونظرت الى ملابسه الرثة فانبأت عن الفقر بعد الميسرة والعوز بعد الغنى . .

أما وقد أخنى عليه الدهر بكلكله ورمى به فى هوة الفقر والعدم وصب عليه جام غضبه وسلبه أعز شىء عنده وأنفس نفيس لديه فطلبت من الله ازاء اضطراب قلبى لحاله المفجعة أن يمينى على قضاء حاجته ان كان ثمة حاجة تدعو الى المساعدة — فقلت له وقد اتجه بعينيه الى الارض حياء وخجلا وتبدل وجهه من الشحوبة الى حمرة خفيفة تنبىء عما يطويه . وعساك أيها المرء يا سيدى ولكن لا تدرى فى أى مكان ومن أنت فتنهد الرجل تنهدا يقطع القلب ويفرى الحشى ويفتت الكبد ويذيب الفؤاد حسرة وانفعل انفعال الحزن

واهتز كهز الردنى تحت العجاج وأغمى عليه فمددت الى ماء فى كوب وأخذت أدلك جبهته به فانتفض مثل المصفور بلله القطر وأخذ يئن ويستجمع قواه ليجيبنى فلم يقدر وصار يذرف الدمع كالاآتى من محاجره وكأنى به وقد أبت نفسه الذليلة ان يتكلم أو يجيب الا بما تلقى محاجره .

فقلت خفف يا أخى العبء وهون على نفسك الخطب ورجوته أن يكف عن البكاء حتى أقف على أمره وأعلم حاله ومن أين أتى ورأى شىء يطلب .

فقال الم تعرفنى ! أنا ابراهيم بدر الدين . الست الجالس معى يوم كذا فى منزلى بـ . . .

آه ؟ ابراهيم بدر الدين ؟ ؟ يا للمصيبه . . ابراهيم بدر الدين أخى ، ما الذى دهاك ؟

هل أصابك مرض ترك جسمك نحيلا كما أراه ؟

ام برق أمامك بارق من أمل شعشعت تطلبه فاذا هو خلب يأخذ بالابصار فرجعت من وقتك مهزوما ولا مخذول المطى ،

أم ماذا . .

يا لله . هدىء روعى وطمئن قلبى فلقد دارت بى الارض

حيرة وتواترت على الوساوس وتوالت على فكرى الهواجس

فأسألك التفريج عنى والتخفيف لبعيّ

فما المرء الا يوم يلقى راحة لضميره من شاغل او هاجس

تخفف خيالى عنه كيد المزلة وهنا وجد مجالا لان يكلمنى ووجدت السبيل الى استكمال ما ذهب به الى هوة الطاعة وانتهزت الفرصة وقلت له .

ما السبب فى تغير حالك من البذخ والسعة الى الفقر والحاجة؟

اقول ذلك وغلامه يجواره يبكى ويئن أنين الثكلى لمنظرنا المفجع وحالنا الغريبة .

فقال الرجل والحزن كاد ان يحرق قلبه .

اعلم يا اخى انه لما مات والدى لم يترك لى مالا مذكورا ولكن بعد موته نظرت فى نفسى نظرة الابهة والعظمة كما هو شأن ابناء رجالنا الموسرين ورأيت ان ما يناسب تلك النفس المغرورة كذبا هو الخروج عن الحد وتجاوز الاعتدال .

بعت المواشى والقطن فى عامى والدى وشراء ثمانية قراريط كانت لاحد الناس فى جانب من مزرعتى وتممت بعض بناء فى المنزل نفذ المال من يدى وسط العام الزراعى ولم أقبل نصيح ناصح

معى خالى الذى لم يكن له قرابة متصلة الا بى وقد عرض على ابنته لتكون زوجة لى ولكن حب الظهور الفتاك لم يوجد فى نفسى حب الاعتدال والتوسط فى المعيشة فأبيت ذلك ورددت رأى خالى عليه وباعدت بينى وبينه — واتفق أنى ذهبت يوما الى القاهرة للترويض وترويح النفس كما هى عادة الضعفاء والبسطاء اذا ملكوا زمام أنفسهم فرأيت فى احدى المنتزهات فتاة آليت على نفسى الا التزوج بها والتمتع بحضارة المدن وأبهة نسائها والاقامة بقصورها . سألت عن الفتاة وعرفت أهلها واتفقت مع والدها على الزواج ولم يكن معى نقود متوفرة وايجار الاطيان لم يكف الا مصروفاتى — ومن أين آتى بالمهر ولم يحن موعد دفع الايجار !!

استدنت مبلغ ٢٥٠ جنيها بفائدة ٢٠ ٪ فى السنة ثم لم أوفر شيئا من الايراد فلم اقدر على دفع ذلك الدين وحضر الخواجا او سطا لى وطلب منى المبلغ فاتفقت معه على تأجيله بنفس الفائدة سنة أخرى وهكذا حتى بعد مضى سبع سنوات صار المبلغ ١٠٠٠ جنيه فالح على فى دفعه فاستدنته من الخواجا انطون واتبعت معه نفس الطريقة الاولى حتى بعد ثمانية سنوات صار المبلغ ٢٩٠٠ جنيه .

آه وهنا بلغ السيل الزبى وطفح الكيل وأتى الى الفقر عدوا

لا مشيا فرفع الخواجا صندى دعوى فلم أجد بدا من أن يحل محلى فى أطيانى وكل ما املكه

فقلت له انك يا أخى أحزنتنى كثيرا ولكن لا أزيدك اسى على بلوتك وتلك عاقبة المسرفين الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

ثم نظر الى نظرة استنجاد فيها معانى العطف والاسترحام وقال جئتك لتتوسط اولدى هذا فى دخوله المدرسة مجانا لانه فى السنة الرابعة ابتدائى ولعل الله يجعله سعيداً فلا يشقى بشقائى ولا يعذب بعذابى .

واقام عندى حتى قضيت حاجته ثم سافر حيث يريد الاقامة

ولكنى اندهشت كل الدهشة واستغربت كيف يذهب هذا الدين الخفيف باملاك الرجل الموسر

جلست طويلا وأخذت افكر فيما آل اليه ابراهيم وكيف اضاع الاملاك التى جمعها والده من كده وتعبه بهذه السرعة المدهشة وكيف انقلبت الحالة هذا الانقلاب المريع !

ولتحقق المسألة امسكت قلمى وعملت حساب هذا الدين فوجدته مطابقا للحقيقة وها هو البيان :—

٢٥٠٠٠	الاصل	
٥٥٠٠٠	الفائده	
٣٠٠٠٠		السنه الاولى
٠٦٠٠٠	»	
٣٦٠٠٠		» الثانية
٠٧٢٠٠	»	
٤٣٢٠٠		» الثالثة
٠٨٦٤٠	»	
٥١٨٤٠		» الرابعة
١٠٣٧٠	»	
٦٢٢١٠		» الخامسة
١٢٤٤٢	»	
٧٤٦٥٢		» السادسة
١٤٩٣٠	»	
٨٩٥٨٢		» السابعة
١٧٩١٨	»	
١٠٧٥٠٠		» الثامنة
٠٢١٥٠٠	»	

١٢٩٠٠٠		السنه التاسعة
٢٥٨٠٠	الفائده	
١٥٤٨٠٠		» العاشرة
٣٠٩٦٠	»	
١٨٥٧٦٠		» الحاديه عشرة
٣٧١٥٠	»	
٢٢٢٩١٠		» الثانية عشرة
٤٤٥٨٠	»	
٢٦٧٤٩٠		» الثالثة »
٥٣٤٩٠	»	
٣٢٠٩٨٠		» الرابعة »
٦٤٢٠٠	»	
٣٨٥١٨٠		» الخامسة »

فيأيها المزارعون والاعيان إلام لاتنتهون عن الربا وحتام تتخبطون في ظلماته لايردعكم علم ولا رادع لاتزدجرون عنه في معاملتكم كأنه فرض فرضه الله عليكم تقدسونه وتقدرونه حق قدره — بعتم الدين ولن تخشوا بطش ربكم وتسامحتم في حقوقه ورضيتم بما أوعدكم به بما اجترفتم من السيئات ولم تتدبروا في يوم تعرضون فيه على رب السموات

لو تدبرتم ايها الوارثون قليلا لعلمتم انكم جررتم ذيل الشقاء على أنفسكم في الدنيا وعذاب الويل في الآخرة وطى خلفكم من بعدكم السخط عليكم إذ وجدوا في حجر البسيطة لايجدون مساغ الريق ولا سداد العوز يلعب بهم الفقر ويسومهم العذاب بما جنت ايديكم لو حكمتم عقولكم في أسباب التأخر والتدهور فلا تجدون دعامته إلا الربا الذي جر عليكم ذيل الدمار وسدل غطاء الخراب فتحكم الاجنبي فينا وهيمن علينا وتصرف فينا تصرف المحرف في الرقيق

إقتصدوا في كل أموركم وليس هناك داعياً لهذه المصروفات الباهظة في مآتمكم وأفراحكم فكل هذه المناظر الظاهرة زائلة لوقتها ويبقى بعدها الهم بالليل والمذلة بالنهار وتكون عاقبتها الخراب

وبيع العقار

المسألة المالية دقيقة جداً وكثيرة الخطر وسريعة الزوال لما يعتريها من التقلبات والعقبات وخصوصاً سوء التصرف

فلو تسلحنا بالعقل واتبعنا الاقتصاد لأدركنا أن العز كله في الاعتدال ولما انتزع الاجنبي منا ملكنا ولما كان هو مثرياً وقد أتى بلادنا فقيراً ولما اصبحنا نحن فقراء من قبل وكنا مثريين — فأن تفقهوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله .

أوصى بعض الحكماء بنيه فقال يابني إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها إلا بأربعة اشياء .

اما الثلاثة التي يطلبها فالسعة في الرزق . والمنزلة في الناس . والزاد للآخرة

وأما الاربعة التي يحتاج اليها في درك هذه الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجه يكون . ثم حسن القيام عليه . ثم استثماره . ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الاهل والاخوان . فيعود عليه نفعه في الدنيا والآخرة فمن ضيع شيئاً من هذه الامور لم يدرك ما أراد من حاجته لأنه إن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به . وإن كان ذا مال واكتساب ثم لم يحسن القيام عليه او شك المال ان يفنى

ويبقى معدماً . وإن هو وضعه لم يستثمره لم تنفعه قلة الانفاق من سرعة الذهاب . وإن انفقه في غير وجهه وأخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له

* * *

فاتقوا الله في أنفسكم إتقوا الله في اولادكم إتقوا الله في أموالكم فقد اصبحت املاكنا ملكاً للاجنبي بثمن بخس وستحاسب على ذلك امام الجبار يوم لا تنفع المعذرة ثم يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد

تم